مركزية القرآن الكريم

مفهومها، مظاهرها، فقه السلف والخلف

تأليف

سعيد بن محمد آل ثابت

مركزية القرآن الكريم

مفهومها - مظاهرها - فقه السلف والخلف

ومشروع مجالس الاهتداء

﴿إِنَّ هَٰذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ﴾ [الإسراء: ٩]

سعيد بن محمد آل ثابت

الإطار الأول مركزية القرآن الكريم — المفهوم والأبعاد

◆ أولاً: مدخل وموقف، بين يدي الموضوع

ثمة مشهد يستوقف كلَّ من يقرأ التاريخ بعينٍ بصيرة: جيلٌ من البشر لم يكن في حوزتهم من المادة شيء يُذكر، ولا من التقنية رصيد، ولا من القوة العسكرية ما يُرهب الجبابرة، ومع ذلك أداروا العالم، وأسّسوا حضارةً لم تنقطع أثارها حتى اليوم. ما سرُّهم؟ كان سرُّهم في كتابٍ واحد، أخذوه بجِدٍّ لم يُسبق وبرَّروه بعملٍ لم يُعهد؛ فكان القرآن لهم مركزَ الثقل، وبوصلةَ الحياة، ومنبعَ القوة.

حين نتحدث اليوم عن "مركزية القرآن" فنحن لا نصكُّ شعاراً جديداً، بل نُعيد استدعاءَ حقيقةٍ ضاربة في أعماق الدين والتاريخ؛ حقيقةٌ تقول: إن هذا القرآن ليس كتابَ تبرُّكٍ يُزيَّن به الرفوف، ولا وِردٌ للأجر يُقرأ على الأموات، بل هو — بأبعاده الشاملة — المنهجُ الذي يصنع الإنسان، ويبني الأمة، ويقود الحضارة.

﴿وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا ۚ مَا كُنتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ وَلَٰكِن جَعَلْنَاهُ نُورًا نَّهْدِي بِهِ مَن نَّشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا﴾ [الشورى: ٥٢]

تأمل هذه الآية مليًّا: القرآن ليس مجرد كلماتٍ، بل هو "روحٌ" و"نور"، والفرق بين الروح والجسد كالفرق بين الحياة والموت، والفرق بين النور والظلمة كالفرق بين الهداية والضلال. فمن كان القرآن روحَه ونورَه كان حيًّا مضيئاً، ومن حُرم منهما فهو — وإن بدا حيًّا في الظاهر — ميتٌ في حقيقته.

يروي البخاري في صحيحه قصةً عجيبة تصوِّر معنى المركزية بشكل حيٍّ مؤثر:

«عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قَالَ: كَانَ القُرَّاءُ أَصْحَابَ مَجْلِسِ عُمَرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ وَمُشَاوَرَتِهِ، كُهُولاً كَانُوا أَوْ شُبَّانًا. فَلَمَّا غَضِبَ عُمَرُ مِن كلام عيينة بن حِصن، قَالَ لَهُ الحُرُّ بنُ قَيس: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، إِنَّ اللهَ تَعَالَى قَالَ لِنَبِيِّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ﴿خُذِ

الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ﴾ وَإِنَّ هَذَا مِنَ الْجَاهِلِينَ. وَاللهِ مَا جَاوَزَهَا عُمَرُ حِينَ تَلاهَا، وَكَانَ وَقَّافًا عِنْدَ كِتَابِ اللهِ تَعَالَى»[رواه البخاري، كتاب التفسير، باب ﴿خُذِ الْعَفْوَ﴾]

ما الذي يلفت النظر في هذا الأثر؟ أمران: الأول أن القرآن كان المرجعَ الفوري، لا نقاشَ ولا جدالَ ولا استشارة، الآية تُتلى فيتوقف أمير المؤمنين في الحال. والثاني أن القرآء — حفّاظ القرآن والعاملون به — كانوا هم المستشارين الأوائل للدولة، شيوخاً كانوا أم شباناً؛ لأن من ملك القرآن ملك الحكمة. هذه هي المركزية في أجلى صورها.

◆ ثانياً: مفهوم مركزية القرآن

قبل أن نستفيض، لنواجه السؤال مباشرةً: ماذا نعني بـ"مركزية القرآن"؟

المركزية في اللغة: نسبةٌ إلى المركز، وهو النقطة التي تتجمع حولها الأطراف وتنتظم في فلكها. فإذا قلنا "مركزية الشمس" في المجموعة الشمسية، عنينا أن كلَّ شيء يدور حولها وتحكمه جاذبيتها. وهكذا "مركزية القرآن": أنه المحورُ الذي تدور حوله سائر مناحي الحياة الإسلامية.

أ — مركزية القرآن في العلم والمعرفة

القرآن الكريم هو المرجعية الأولى التي تزن سائر العلوم وتحدد قيمتها؛ فما عظّمه القرآن فهو العلم الحق وإن أُهمل، وما همّشه فهو الأدنى وإن تعالت أسهمه. فالعظيم ما عظمه القرآن والحقير ما حقره، وقد قيل: "الفرق بين كلام الله وكلام الناس كالفرق بين الله وبين الناس، فرقٌ بين الكمال المطلق وبين الفاني الناقص".

• ب — مركزية القرآن في التربية والتزكية

لم يكن النبي صلى الله عليه وسلم يُعلِّم الصحابةَ القرآنَ تلاوةً فحسب، بل كان يُغرس فيهم كيف يَحيَون بالقرآن. فحين سُئلت عائشة رضي الله عنها عن خُلُق النبي أجابت

بجملةٍ هي أعمق تعريف للتربية القرآنية: «كَانَ خُلُقُهُ الْقُرْآنَ» [رواه مسلم] معنى هذا أن القرآن لم يكن نصًّا يُحفظ ثم يُنسى، بل كان شخصيةً يُجسَّد، وطريقةَ حياةٍ يُعاش. هذه هي المركزية التربوية: أن يكون القرآن هو الذي يصنع الإنسان من الداخل.

• ج — مركزية القرآن في الدعوة والحضارة

إن القرآن هو الوثيقة الإلهية الخالدة التي تتضمن خارطةَ الحضارة الإنسانية الكاملة، بدءًا من تشكيل الوجدان وانتهاءً بتنظيم الدولة. ومن هنا كانت مركزيته الحضارية: إنه ليس فقط كتابَ عبادة، بل هو "نظام الأنظمة" و"دستور الدساتير".

والأمة التي تقرأ القرآن ولا تعيش به، تشبه الأمة التي تحمل خارطةً دقيقة ولا تسير بها؛ الخارطة موجودة ومع ذلك يتيهون!

◆ ثالثاً: كيف عرّف القرآن نفسه؟ القرآن يتحدث

ليس من منهج البحث أن نُعرِّف القرآن من خارجه، بل الأصل أن نسمعه وهو يُعرِّف نفسه. وتأمّل معي كيف تتضافر هذه الآيات لترسم صورةً شاملة رائعة:

● القرآن: تبيانٌ لكل شيء

﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ﴾ [النحل: ٨٩]

"التبيان" قال ابن كثير في "تفسيره": قال ابن مسعود: وقد بيَّن لنا في هذا القرآن كل علم، وكل شيء.

وقال مجاهد: كل حلال وحرام. ثم قال ابن كثير: وقول ابن مسعود أعم وأشمل، فإن القرآن اشتمل على كل علم نافع من خبر ما سبق، وعلم ما سيأتي، وحكم كل حلال وحرام، وما الناس إليه محتاجون في أمر دنياهم ودينهم، ومعاشهم ومعادهم؛ اهـ.

● القرآن: نورٌ يهدي السُّبُل

﴿قَدْ جَاءَكُم مِّنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُّبِينٌ ۝ يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ﴾ [المائدة: ١٥-١٦]

قال القرطبي رحمه الله في تفسير: سبل السلام: هي الطرق السلامة الموصلة إلى دار السلام..؛ وهذا يدل على شمولية الهداية القرآنية وتعدد مساراتها.

● القرآن: يهدي للتي هي أقوم

﴿إِنَّ هَٰذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا﴾ [الإسراء: ٩]

"للتي هي أقوم" — لاحظ التفضيل المطلق! لا يقول "لسبيل صالحة" بل "للتي هي أقوم" أي الأشد استقامةً والأكثر صوابًا. يقول الزمخشري في الكشاف: "أقوم" أي أعدل وأسدَّ وأصوب، وهذا يُفيد أن ما يُرشد إليه القرآن هو النهج الأمثل في كل شأن.

● القرآن: روحٌ تحيي

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ﴾ [الأنفال: ٢٤]

"لما يُحييكم" الحياة الحقيقية هي الحياة بالإيمان والقرآن، وما سواها فهو موتٌ في صورة حياة؛ ولذلك وصف الله الكافر بالميت وإن مشى على الأرض. وهذا هو معنى قوله تعالى: "روحًا من أمرنا".

● القرآن: مهيمنٌ على كل ما قبله

﴿وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ﴾ [المائدة: ٤٨]

المهيمن: الرقيب والحافظ والشاهد والحاكم. وعند الأصفهاني في المفردات: الهيمنة هي القيام على الشيء برعايته وحفظه وتسديده، والمهيمن هو من يتولى ذلك بالقدرة والعلم. فالقرآن — بهيمنته — يزن كلَّ ما سواه ويحكم على كل تيار ومذهب.

● القرآن: ذكرٌ يحمل هوية الأمة

﴿لَقَدْ أَنزَلْنَا إِلَيْكُمْ كِتَابًا فِيهِ ذِكْرُكُمْ ۖ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ [الأنبياء: ١٠]

"فيه ذكركم" أي فيه عزّكم وشرفكم وهويّتكم؛ القرآن هو الذي يُجيب عن السؤال الأعمق: من أنا؟ وإلى أين أسير؟ الأمة التي تضيع هويتها عليها أن ترجع إلى القرآن، فهو سجلُّها الحضاري الأول.

◆ رابعاً: مظاهر مركزية القرآن في حياة الفرد والأمة

١ — التلاوة الحيّة والتدبُّر المتجدد

التلاوةُ ركنٌ من أركان المركزية، لكنها ليست المركزية كلَّها؛ وهنا خلطٌ كبير يقع فيه كثيرون. فالتلاوة بلا تدبُّر قشرٌ بلا لبّ. وقد كان السلف يعيبون على من يُكثر التلاوة ويُقلّ العمل، ويقولون: "نزل القرآن ليُعمل به، فاتخذ الناس تلاوته عملاً!"

﴿كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِّيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ [ص: ٢٩]

الغرض من نزول القرآن هو تدبُّره والعمل به، لا مجرد تلاوته؛ فمَن تلاه دون تدبُّر فقد قصَّر في حق القرآن. وروي عن الحسن البصري ما مفاده: "ما أنزل الله آيةً إلا أراد أن تُعلَم ويُعمل بها".

٢ ـــ الحكم والتشريع

﴿فَاحْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ﴾ [المائدة: ٤٨]

مركزية القرآن في التشريع ليست مجرد مطلب فقهي، بل هي أمرٌ وجودي؛ لأن الأمة التي تستمد قوانينها من غير القرآن قد قطعت الحبل الذي يصلها بالله، ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ﴾ [المائدة: ٤٤].

٣ ـــ بناء الشخصية والهوية

من كان القرآن هويّته، لا تُزعزعه رياح التغريب؛ لأنه يرى نفسه في مرآة كلام الله، لا في مرايا الإعلام ولا في نظريات العلم الحديثة! ". وتأمل شيخ الإسلام ابن تيمية ماذا قال في شدة ما يعمله أعداؤه معه، قال: "ما يصنع أعدائي بي؟ سجني خلوة، ونفيي سياحة، وقتلي شهادة! هكذا يصنع القرآن بمن أخذه مركزاً.

٤ ـــ الوحدة والتماسك الاجتماعي

﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا﴾ [آل عمران: ١٠٣]

قال ابن عطية في المحرر الوجيز: قال قتادة "حبل الله" في هذه الآية هو القرآن، وهو تفسير ثبت عن ابن مسعود. والمعنى: الاجتماع على القرآن هو الوحدة الحقيقية، وكل وحدة على غير هذا الأساس هي سرابٌ سرعان ما يتبدد.

٥ ـــ مركزية القرآن في القيادة والإدارة

كانت مجالس الفقهاء والقرّاء هي أصحاب الحظوة في دواوين الخلفاء. وفي الحديث: "قال عُمَرُ: أما إنَّ نَبيَّكُم صلَّى اللهُ عليه وسلَّم قد قال: إنَّ اللَّهَ يَرفَعُ بهذا الكِتابِ أقوامًا، ويَضَعُ به آخَرينَ"[رواه مسلم]؛ فربط العلوَّ والرفعة بالقرآن ربطاً مباشراً. ولما أقام ابن

عمر رضي الله عنهما على حفظ البقرة سنواتٍ طويلة — قيل ثماني سنين — لم يكن ذلك عجزاً بل كان عمقاً وحرصاً على الفهم والعمل. ذكره مالك في الموطأ.

◆ خامساً: عوامل تحييد مركزية القرآن

قبل أن نبني، لا بدَّ أن نُشـــخِّص الداء. ولمركزية القرآن أعداءٌ يعملون على تحييدها، بعضهم من خارج الإسلام وبعضهم — وهو الأمر! — من داخله.

• أولاً: التحييد الخارجي — نزع القداسة

يقول المستشرق الفرنسي ريجيس بلاشير في مقدمة ترجمته للقرآن: "يجب أن نتعامل مع القرآن كوثيقة تاريخية لفهم العرب لا كنص مقدس"؛ وهذا هو المنهج الاســـتشـــراقي الكلاســـيكي في تحييد القرآن. أما اليوم فقد تطوّر الأمر إلى ما يُســـمى "علم القرآن الانتروبولوجي" الذي يتعامل مع القرآن كنصٍّ بشـــري محض. وقد ردَّ على هذا التوجه الدكتور محمد دراز رحمه الله بما أثبت عجز هذه المناهج عن تفســـير ظاهرة القرآن، في كتابه الرائع "النبأ العظيم".

• ثانياً: التحييد الداخلي — الاختزال في الشعائر

وهو أخطر من الأول لخفائه؛ حين يُختزل القرآن في: قراءةٍ للأموات، وتبرُّكٍ بوضـــعه في البيت، ومسابقاتِ تجويدٍ تُقيَّم على الصوت لا على الفهم، ومَن يحفظه يُسمَّى "حافظاً" لكنه قد لا يعيش آيةً واحدة — حين يحدث هذا تُحيَّد مركزية القرآن من الداخل.

• ثالثاً: الانحسار في التفسير التراثي التاريخي

حين يُحصـــر التعامل مع القرآن في قراءة التفاســـير القديمة دون محاولة اســـتنطاق القرآن لواقعنا المعاصـــر، يتحوّل القرآن من نصٍّ حيٍّ متجدد إلى أثرٍ تاريخي يُدرَّس ولا يُعاش. والحلُّ ليس رفضَ الموروث، بل إعمالَه أداةً للحوار مع الحاضر.

◆ سادساً: فقه السلف في مركزية القرآن

كان السلف الصالح رحمهم الله يعيشون مركزية القرآن دون أن يُسمّوها بهذا الاسم، لأنها كانت تحصيلَ حاصل؛ كمن يسأل السمكةَ: هل تُدرك قيمة الماء؟

• منهج الصحابة في تعلّم القرآن وتعليمه

«حَدَّثَنَا الَّذِينَ كَانُوا يُقْرِئُونَنَا الْقُرْآنَ — كَعُثْمَانَ بْنِ عَفَّانَ وَعَبْدِاللهِ بْنِ مَسْعُودٍ وَغَيْرِهِمَا — أَنَّهُمْ كَانُوا إِذَا تَعَلَّمُوا مِنَ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَشْرَ آيَاتٍ لَمْ يُجَاوِزُوهَا حَتَّى يَتَعَلَّمُوا مَا فِيهَا مِنَ الْعِلْمِ وَالْعَمَلِ. قَالُوا: فَتَعَلَّمْنَا الْقُرْآنَ وَالْعِلْمَ وَالْعَمَلَ جَمِيعًا» [أخرجه الطبري في جامع البيان، وذكره الرازي في التفسير الكبير، وهو عند الطبراني وغيره]

هذا هو المنهج النبوي في التعليم: عشر آياتٍ يتوقفون عندها حتى يعوا معانيها ويجسّدوا أحكامها؛ فلم يكن الحفظ غايةً بل كان وسيلةً للعيش مع القرآن. وفي رواية ابن مسعود: "كان الرجل منّا إذا تعلّم عشر آيات لم يُجاوزهن حتى يعرفَ معانيهن والعمل بهن" [رواه الطبري بسنده].

• عمر وإطالة الحفظ

لم يكن تأخُّر عمر وابنه عبد الله في حفظ القرآن عجزًا، بل كان عمقًا وتأنِّيًا. يقول مالك رحمه الله في بلاغاته: "أقام ابن عمر على حفظ البقرة ثماني سنين". وعمر بن الخطاب نفسه استغرق قريبًا من ذلك، ونحر جزورًا احتفالاً بحفظها؛ لأنه كان يرى أن حفظ البقرة — بما فيها من أحكام وعقائد وأخلاق — لا يحقُّ إلا لمن وعى ما فيها.

• القرآن مرجعية الفقهاء والمجتهدين

قال الشافعي رحمه الله: "لا يحلُّ لأحد أن يُفتي في دين الله إلا بعلم القرآن". وقال الإمام أحمد: "أصل العلوم كلها من القرآن الكريم، ومن أحكمه أحكم سائر العلوم". وقد ذكر الخطيب البغدادي أن القرآن شرطٌ لكل من نصب نفسه للفتيا والقضاء.

• درس الشافعي الخارق في بحث دليل الإجماع

يذكر أصحاب الشافعي رحمه الله أنه حين أراد التحقق من دليل الإجماع في الفقه، جلس للقرآن يقرأه ويتدبّره بحثاً عن الأساس النصي؛ فكان القرآن هو البداية والنهاية في بحثه. وهذا نموذجٌ حيٌّ على أن الفقيه الحقيقي لا يبدأ من الأقيسة بل يبدأ من القرآن.

***

الإطار الثاني مشروع مجالس الاهتداء بالقرآن الكريم

◆ أولاً: المنطلقات والأسس القرآنية للمجالس

قبل أن نتحدث عن مجالس الاهتداء نحتاج أن نُرسي الأساس النظري لها من القرآن والسنة؛ لأن كل مشروع لا يقوم على أساس وحيانيّ متين هو مشروعٌ من القِصَب.

• الأساس الأول: القرآن يُتدارَس لا يُقرأ فحسب

قال عليه الصلاة والسلام: «وَمَا اجْتَمَعَ قَوْمٌ فِي بَيْتٍ مِنْ بُيُوتِ اللَّهِ، يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ وَيَتَدَارَسُونَهُ بَيْنَهُمْ، إِلَّا نَزَلَتْ عَلَيْهِمُ السَّكِينَةُ، وَغَشِيَتْهُمُ الرَّحْمَةُ، وَحَفَّتْهُمُ الْمَلَائِكَةُ، وَذَكَرَهُمُ اللَّهُ فِيمَنْ عِنْدَهُ» [رواه مسلم — كتاب الذكر والدعاء]

لاحظ الفعل "يتدارسونه بينهم" — المدارسة الجماعية، التشاركية، الحوارية. ليست محاضرةً يلقيها أحد، بل نقاشٌ حيٌّ وتفاعلٌ مشترك. وهذا بالضبط ما كان يحدث في مجالس السلف مع القرآن.

• الأساس الثاني: مدارسة جبريل للنبي — النموذج الأعلى

«كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَجْوَدَ النَّاسِ، وَكَانَ أَجْوَدُ مَا يَكُونُ فِي رَمَضَانَ حِينَ يَلْقَاهُ جِبْرِيلُ. وَكَانَ جِبْرِيلُ يَلْقَاهُ فِي كُلِّ لَيْلَةٍ مِنْ رَمَضَانَ فَيُدَارِسُهُ الْقُرْآنَ. فَلَرَسُولُ اللَّهِ حِينَ يَلْقَاهُ جِبْرِيلُ أَجْوَدُ بِالْخَيْرِ مِنَ الرِّيحِ الْمُرْسَلَةِ» [متفق عليه — من حديث ابن عباس رضي الله عنهما]

تأمل: النبي — وهو أعلم الناس بالقرآن — كان يُدارس جبريل، ويزداد جوداً وعطاءً بعد كل مدارسة. فالمدارسة ليست للجاهل وحده، بل هي للجميع؛ ومن توقَّف عنها توقَّف نموُّه الروحي.

• الأساس الثالث: الربانية تتحقق بتعليم القرآن ودراسته

﴿وَلَٰكِن كُونُوا رَبَّانِيِّينَ بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ الْكِتَابَ وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ﴾ [آل عمران: ٧٩]

في قراءة "تُعلِّمون" و"تَعلَمون" معاً: الربانية — أي الاتصال بالله والتخلُّق بصفاته — لا تتحقق إلا بتعليم القرآن ودراسته وتعلُّمه. وهذا يعني أن مجالس القرآن ليست رفاهيةً روحية بل هي صناعةٌ للإنسان الرباني.

◆ ثانياً: هيكل مجالس الاهتداء ومنهجيتها

• مفهوم المجلس القرآني للاهتداء

مجلس الاهتداء القرآني: هو اجتماعٌ دوريٌّ منظَّم لقراءة القرآن وتدبُّره والتفاعل معه، بهدف استخلاص الهدايات وتطبيقها على واقع الحياة الفردية والجماعية. وهو ليس درساً في التفسير بالمعنى الأكاديمي، ولا حلقةَ حفظٍ تقليدية، بل هو فضاءٌ حيٌّ للاهتداء والتحوُّل.

• المنهجية العملية للمجلس

١- الاستعاذة والبسملة والحضور القلبي

﴿فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ﴾ [النحل: ٩٨]

٢- التلاوة المرتَّلة بصوتٍ جهوري مع الإنصات التام

﴿وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنصِتُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ [الأعراف: ٢٠٤]

٣- التوقف والتدبُّر وإثارة الأسئلة — ما الذي يقوله هذا النصُّ لي الآن؟ وما هي الهدايات المستخلصة؟

٤- المدارسة الجماعية التشاركية — يتناول الأعضاء استنباط الهدايات من كل آية بحسب فهمهم واجتهادهم.

٥- الربط بالواقع — كيف تُطبَّق هذه الهداية في حياتنا اليومية؟

٦- الختم بالدعاء والعزم على التطبيق.

يُقال: من دخل المجلس بأسئلةٍ خرج بإجابات؛ ومن دخل بإجابات خرج بأسئلة أعمق. وكلا الحالين خيرٌ وفلاح.

• أخذ القرآن بالمقاطع — حكمة التنجيم

قال الله: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً ۚ كَذَٰلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلًا﴾ [الفرقان: ٣٢]

وقال تعالى: ﴿وَقُرْآنًا فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَىٰ مُكْثٍ وَنَزَّلْنَاهُ تَنزِيلًا﴾ [الإسراء: ١٠٦]

في هاتين الآيتين حكمةٌ بالغة لمجالس الاهتداء: القرآن نزل مُفرَّقاً على مكث — ليدخل القلبَ آيةً آيةً، ويُثبِّت الفؤاد كلمةً كلمة. فمنهج المجالس في أخذ القرآن بمقاطع — لا ختمةً بلا تدبُّر — هو المنهج القرآني ذاته.

• التمهُّل وطلب الزيادة من الله

﴿فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ ۗ وَلَا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ مِن قَبْلِ أَن يُقْضَىٰ إِلَيْكَ وَحْيُهُ ۖ وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾ [طه: ١١٤]

"رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا" — هذا دعاءٌ ينبغي أن يفتتح به كلُّ مجلس اهتداء. الله الذي أنزل القرآن هو المُعلِّم الأول، والمجلس مجرد وسيلةٌ للتلقي.

◆ رابعاً: موانع الاهتداء وكيف نتجاوزها

• المانع الأول — الكِبْر والمعاصي

الكبر والمعصـــية حجابٌ كثيف بين القلب والقرآن؛ فلا يدخل نورُ القرآن قلباً مظلماً بالكبر، كما لا يدخل الماء إناءً مقلوبًا. وتأمل قوله تعالى: ﴿وَلَوْ جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا أَعْجَمِيًّا لَّقَالُوا لَوْلَا فُصِّلَتْ آيَاتُهُ ۖ أَأَعْجَمِيٌّ وَعَرَبِيٌّ ۗ قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ آمَنُوا هُدًى وَشِفَاءٌ ۖ وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ فِي آذَانِهِمْ وَقْرٌ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى﴾ [فصلت: ٤٤]

• المانع الثاني — الانبهار بالحضارة الغربية وتوهين القرآن

حين تُقارَن "العلوم الحديثة" بالقرآن على أنهما ندَّان، ويُصـاغ القرآن كأنه يحتاج إلى تبريرٍ علمي — يتحوَّل القرآن من حَكَمٍ إلى مُحتَكَم إليه. وهـذا انقلابٌ في الأدوار خطير. يقول تعالى:

﴿فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ﴾ [المرسلات: ٥٠]

• المانع الثالث — الفصل بين التلاوة والعمل

حين تصـير التلاوة غايةً في ذاتها، لا وسـيلةً إلى الهداية والعمل، يُصـاب القرآن بما يُشـبه الاحتكار من غير استثمار. وهذا ما قصده السلف بقولهم: "نزل القرآن ليُعمل به فاتخذ الناس تلاوته عملاً!" وقد وصف الله أهلَ هذه الحال بقوله:

﴿مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْرَاةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا﴾ [الجمعة: ٥]

وهذا ليس تجنيًا بل تحذيرٌ قرآني صريح: الكتاب المُهمَل يتحوَّل إلى عبءٍ لا إلى نور.

• المانع الرابع — اليأس من الفهم

كثيرٌ من الناس يُحجمون عن مجالس القرآن بحجة: "لسنا علماء، ولا نفهم"؛ وهذا الحاجز يكسره القرآن بنفسه:

﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ﴾ [القمر: ١٧، ٢٢، ٣٢، ٤٠ — تكرَّرت أربع مرات!]

تكرار هذه الآية أربع مرات في سورة واحدة هو نداء من الله لكل من يتردَّد: القرآن يسَّرتُه، فهل من راغب؟!

◆ خامساً: رؤية معاصرة للتجديد والإحياء — إعادة الأمة إلى القرآن

بعد هذه الرحلة في ربوع مركزية القرآن وآفاق مجالس الاهتداء، نصل إلى السؤال الأهم: كيف نُحوِّل هذا الكلام من نظرية إلى واقع؟

• أولاً: إعادة تأهيل العلاقة مع القرآن

لا يكفي أن نُكثِر الحلقات والمسابقات دون أن نُعيد تشكيل الوعي بماهية القرآن؛ إذ لا بدَّ أن يُدرك الناس — شيئًا فشيئاً — أنهم أمام "كلمة الله الأخيرة للناس في كوكب الأرض"، وأن الفرق بين كلام الله وكلام الناس كما قيل: "كالفرق بين الله وبين الناس."

• ثانياً: استنطاق القرآن لحلّ مشاكلنا المعاصرة

من أجمل ما يُفعل أن يُلجَّ المرء إلى القرآن محمولاً بتساؤلاته وأزماته. الأسرة المتفككة تسأل القرآن، والشاب الضائع يسأل القرآن، والمجتمع المنهك يسأل القرآن، وفي كلِّ حال سيجد جواباً، بشرطٍ واحد: أن يسأل بصدق.

وهذا هو معنى قوله تعالى: ﴿إِنَّ هَٰذَا الْقُرْآنَ يَقُصُّ عَلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَكْثَرَ الَّذِي هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ۝ وَإِنَّهُ لَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾ [النمل: ٧٦-٧٧]

القرآن يَفصل في الخلافات ويُوضح المسالك؛ ليس بالقسر والقوة بل بالبيان والنور.

• ثالثاً: دمج مجالس الاهتداء في المؤسسات

من الرؤى المعاصرة المهمة — التي تتوافق مع روح مشروع مجالس الاهتداء — أن تنتشر هذه المجالس ليس في المساجد فحسب، بل في: المدارس والجامعات، والمؤسسات والشركات، والأُسر والبيوت، وحتى في المستشفيات ودور الرعاية؛ فالقرآن لم ينزل في المساجد وحدها، بل للحياة كلها.

• رابعاً: مؤشرات نجاح المجالس

أن تشعر حين تخرج من المجلس أن آيةً ما دخلت قلبك دخولاً جديداً.

أن ترى في حياتك اليومية آياتٍ تتحقق أمام عينيك.

أن تزداد محبةً لله ولكتابه وتشوُّقاً إلى لقائه.

أن تجد حلولاً لمشكلاتٍ ظننتها بلا حلول.

وكل هذه — وهي معاني الأثر النبوي "إلا نزلت عليهم السكينة وغشيتهم الرحمة" — هي مؤشرات نجاح المجلس القرآني.

***

الخاتمة:

﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَىٰ ۝ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا ۝ قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيتَهَا وَكَذَٰلِكَ الْيَوْمَ تُنسَىٰ﴾ [طه: ١٢٤-١٢٦]

هذه الآيات ليست تخويفاً من أجل التخويف؛ بل هي وصفٌ دقيق لواقع يُعيشه الناس اليوم: "معيشةً ضنكاً" — القلق والاكتئاب والفراغ الروحي الذي يُعاني منه الملايين — ليس مصادفةً، بل هو الثمن الحتمي لهجر الذكر.

والمقابل الجميل في قوله تعالى:

﴿أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾ [الرعد: ٢٨]

وأجمل ختامٍ بحديث نبوي يُلخِّص كل ما سبق:

«فَإِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ سَبَبٌ طَرَفُهُ بِيَدِ اللَّهِ وَطَرَفُهُ بِأَيْدِيكُمْ — فَتَمَسَّكُوا بِهِ فَإِنَّكُمْ لَنْ تَضِلُّوا وَلَنْ تَهْلِكُوا بَعْدَهُ أَبَدًا»

[رواه ابن حبان — وصحَّحه شعيب الأرناؤوط — وإسناده على شرط مسلم]

حبلٌ طرفه بيد الله — لن ينقطع من ذلك الطرف أبداً؛ والسؤال الوحيد: هل نحن ممسكون بطرفنا؟

نرجو الله ذلك وممن قال الله فيهم: ﴿وَالَّذِينَ يُمَسِّكُونَ بِالْكِتَابِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ الْمُصْلِحِينَ﴾

[الأعراف: ١٧٠]، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين..

وكتبه سعيد بن محمد آل ثابت

فهرس الموضوعات

الإطار الأول مركزية القرآن الكريم — المفهوم والأبعاد 3
◆ أولاً: مدخل وموقف، بين يدي الموضوع 3
◆ ثانياً: مفهوم مركزية القرآن 4
أ — مركزية القرآن في العلم والمعرفة 4
● ب — مركزية القرآن في التربية والتزكية 4
● ج — مركزية القرآن في الدعوة والحضارة 5
◆ ثالثاً: كيف عرّف القرآن نفسه؟ القرآن يتحدث 5
◆ رابعاً: مظاهر مركزية القرآن في حياة الفرد والأمة 7
١ — التلاوة الحيّة والتدبُّر المتجدد 7
٢ — الحكم والتشريع 8
٣ — بناء الشخصية والهوية 8
٤ — الوحدة والتماسك الاجتماعي 8
٥ — مركزية القرآن في القيادة والإدارة 8
◆ خامساً: عوامل تحييد مركزية القرآن 9
● أولاً: التحييد الخارجي — نزع القداسة 9
● ثانياً: التحييد الداخلي — الاختزال في الشعائر 9
● ثالثاً: الانحسار في التفسير التراثي التاريخي 9
◆ سادساً: فقه السلف في مركزية القرآن 10
● منهج الصحابة في تعلّم القرآن وتعليمه 10
● عمر وإطالة الحفظ 10
● القرآن مرجعية الفقهاء والمجتهدين 10
● درس الشافعي الخارق في بحث دليل الإجماع 11
الإطار الثاني مشروع مجالس الاهتداء بالقرآن الكريم 12
◆ أولاً: المنطلقات والأسس القرآنية للمجالس 12
● الأساس الأول: القرآن يُتدارَس لا يُقرأ فحسب 12

● الأساس الثاني: مدارسة جبريل للنبي — النموذج الأعلى 12
● الأساس الثالث: الربانية تتحقق بتعليم القرآن ودراسته 13
◆ ثانياً: هيكل مجالس الاهتداء ومنهجيتها 13
● مفهوم المجلس القرآني للاهتداء 13
● المنهجية العملية للمجلس 13
● أخذ القرآن بالمقاطع — حكمة التنجيم 14
● التمهُّل وطلب الزيادة من الله 14
◆ رابعاً: موانع الاهتداء وكيف نتجاوزها 15
● المانع الأول — الكِبْر والمعاصي 15
● المانع الثاني — الانبهار بالحضارة الغربية وتوهين القرآن 15
● المانع الثالث — الفصل بين التلاوة والعمل 15
● المانع الرابع — اليأس من الفهم 16
◆ خامساً: رؤية معاصرة للتجديد والإحياء — إعادة الأمة إلى القرآن 16
● أولاً: إعادة تأهيل العلاقة مع القرآن 16
● ثانياً: استنطاق القرآن لحلِّ مشاكلنا المعاصرة 16
● ثالثاً: دمج مجالس الاهتداء في المؤسسات 17
● رابعاً: مؤشرات نجاح المجالس 17
الخاتمة: 18
فهرس الموضوعات 19